

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

محادثات صاحب الجوهر حول الآية الشرفية

لقد استنبطنا أنَّ اللَّامَ تَتَحدَّثُ حَوْلَ غَايَةِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ لَا التَّوْقِيتَ فَالْفُورِيَّةَ أَبْدًا، وَ فِي امْتِداَدِهِ أَيْضًاً قَدْ أَذْعَنَ مَعْظَمَ الْمُحَقِّقِينَ كَالْجَوَاهِرِ وَ الشَّيْخِ الْأَعْظَمِ بِأَنَّ الْآيَةَ بِمُفْرِدِهَا لَا تُعْرِبُ عَنِ الْمُضَايِقَةِ نَهَائِيًّا، وَ أَمَامَكَ الْآنَ نصَّ بِيَانَاتِ صَاحِبِ الْجَوَاهِرِ قَائِلًا:

- «أَمَّا الْآيَةُ فَلَا رِيبٌ فِي عَدْمِ ظُهُورِهَا فِي نَفْسِهَا مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ تَفْسِيرِهَا بِالْأَخْبَارِ فِيمَا ذُكِرَهُ (أَيِّ الْمُضَايِقَةِ) بِلْ هِيَ ظَاهِرَةٌ فِي عَدْمِهِ، إِذَا لَا يَخْفِي كُونُ الْخُطَابِ بِالْآيَةِ الشَّرِيفَةِ لِمُوسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ سَبَّحَهُ قَالَ [1]: «وَ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى - إِلَى أَنْ قَالَ - فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلُعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْأَوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى، وَ أَنَا اخْتَرُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي، وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي، إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَّةٌ أَكَادُ أَخْفِهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى، فَلَا يَصُدُّنِكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى، وَ مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى...» إِلَى آخرِهَا (فَخُطَابُهَا خَاصٌّ أَسَاسًا بِحِيثِ إِنَّ الْقَضِيَّةَ تُعدُّ خَارِجِيَّةً سَخْصَيْةً فَلَا يُسْتَدِلُّ لِلْمُضَايِقَةِ إِطْلَاقًا).

- وَ احْتِمَالُ إِرَادَةِ الْخُطَابِ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِقَوْلِهِ «وَ مَا تِلْكَ» عَلَى أَنْ يَكُونَ جَمْلَةً مُعْتَرِضَةً بَيْنَهَا أَوْ لِكُلِّ مَكْلُوفٍ فِي غَايَةِ الْضَّعْفِ بِلِفَسَادِهِ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْافِي مَا سَتَسْمِعُ.

- بِلِ الظَّاهِرِ أَنَّهُ تَعَالَى شَأْنَهُ لَمَا بَشَّرَهُ (مُوسَى) بِالرَّسُولَةِ أَمْرَهُ بِالاستِمَاعِ لِمَا أَوْحَاهُ لَهُ مِنَ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْأَصْوَلِ وَ الْفَرْوَعِ، وَ الْعِبَادَةُ لَهُ تَعَالَى الَّتِي هِي نَتْيَةُ كَمَالِ الإِيمَانِ الْكَاشِفَةُ عَنِ حَصْوَلِهِ وَ ثَبَوْتِهِ، ثُمَّ عَطْفُ الصَّلَاةِ لَهُ عَلَيْهَا مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِ، لِأَنَّهَا أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ وَ عَمْدُ الطَّاعَاتِ (تَلوُ التَّوْحِيدِ):

1. فَالْأَلْيَاءُ فِي «ذَكْرِي» كِيَاءُ فَاعْبُدْنِي أَيِّ أَقْمَ الصَّلَاةَ لِي (أَيِّ خَصِّيَّصًا لَهُ تَعَالَى فَاللَّامُ لِلْغَايَةِ كَمَا هُوَ الصَّوَابُ) إِذْ إِقاَمَتِهَا لِذَكْرِهِ إِقَامَةً لَهُ تَعَالَى شَأْنَهُ.

2. أَوْ أَنَّ الْمَرَادَ أَقْمَهَا لِأَجْلِ ذَكْرِي (أَيِّ تَعْلِيلَةً وَفَقَاءً لِصَاحِبِ الْمِيزَانِ أَيْضًاً) إِذ الصَّلَاةُ فِي الْحَقِيقَةِ بِاعتِبَارِ اشتِمَالِهَا عَلَى التَّسْبِيحِ وَ التَّعْظِيمِ وَ الْأَذْكَارِ وَ اشْتِغَالِ الْقَلْبِ وَ الْلِّسَانِ فِي اللَّهِ بِسَبِيلِهِ ذَكْرُ مِنْ أَذْكَارِهِ، بِلْ عَبْرُ عَنِ الصَّلَاةِ بِالذَّكْرِ (أَيْضًاً) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» [2] وَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَإِنَّا أَمْنَتْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَمْكُمْ» [3] وَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَ قُعُوداً» [4] وَ مِنْهُ: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ» [5] وَ عَنِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) [6]: «ذَكْرُ اللَّهِ لِأَهْلِ الصَّلَاةِ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» [7] وَ رِبِّما حُمِلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى أَيْضًا [8] «وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ».

3. أَوْ أَنَّ الْمَرَادَ أَقْمَهَا لِأَجْلِ أَنْ تَكُونَ ذَاكِرًا لِي غَيْرَ نَاسٍ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُخَلَّصِينِ وَ الْأُولَائِ الَّذِينَ لَا يَفْتَرُونَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَ لَا تَلَهِيهِمْ تِجَارَةً وَ لَا بَيْعَ عَنْهُ.

4. أو أنّ المراد لأجل ذكري خاصة لا تشوّهُ بذكر غيري (ضمن الصّلاة) أو لإخلاص ذكري و طلب وجهي لا تُرائي بها و لا تقصد بها غرضاً آخر.

5. أو لأنّي أذكرك بالمدح و الثناء و أجعل لك لسان صدر (أي للغاية)

6. أو لأنّي ذكرتها (الصّلاة) في الكتب (السمّائية).

7. أو لذكرى إياها و أمرى بها فأقمها امثلاً لذلك (أي تحقق العبادة بأمرى إياك) أو لوجوب ذكري على كلّ أحد، و هي منه.

8. أو لأوقات ذكري، و هي مواعيد الصلاة، أو غير ذلك.

لأنّ المراد أقم الصّلاة لذكرى لك إياها عند نسيانك لها أي تذكيري (لك فإنّ أهل المضايقة قد فسّروها بلام التّوقيت الفوري) و أضافه إليه مع أنّ المناسب التّعبير بذكرها لما قيل من أنه ورد في الأخبار أنّ الذّكر و النّسيان من الأشياء التي لا صنْع للعباد فيها (بل هي بيد الله تعالى و لكنّا قد خالقنا ضمن قاعدة ما غلب الله، فلم تَرِي الناسِي و الجاھل و الغافل مغلوبًا) أو أنّ المراد لذكر صلاتي على جهة الإضمار أو التّجوز بإرادتها من ضمير التّكلم، إذ هو (النّسيان) كما تَرِي مع رَكاكته و ظهور الآية بخلافه مناف لمرتبة موسى أو نبينا (عليهما الصلاة و السلام) من نسيان الصلاة.

- على أنّ الآية كالصّريحة في إرادة الأمر بإقامة أصل الصلاة و بيان زيادة الاهتمام بها لا خصوص الفائنة منها.»[9]

و قد صرّح السّيّد الحكيم أيضًا بأنّ الآية تؤكّد بُنيان الصّلاة و تشريعه فلا تدل على المضايقة أساساً.[10]

[1] سورة طه – الآية ٨ إلى ١٨.

[2] سورة الجمعة – الآية ٩.

[3] سورة البقرة – الآية ٢٤٠.

[4] سورة آل عمران – الآية ١٨١.

[5] سورة الروم – الآية ١٦.

[6] تفسير الصافي – سورة البقرة – الآية ١٤٧.

[7] سورة البقرة – الآية ١٤٧.

[8] سورة العنكبوت – الآية ٤٤.

[9] صاحب جواهر محمدحسن بن باقر. n.d. جواهر الكلام (ط. القديمة). Vol. 13. ص90-89 بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي.

[10] حيث قد صرّح قائلاً: «و كان تطبيق الآية الشريفة في المقام بلحاظ تشريع أصل القضاء، يعني: إذا كانت «الغاية» من الأمر بإقامة الصلاة هو الذّكر لم يفرق بين أدائها و قضائها» (مستمسك العروة الوثقى. Vol. 7. ص90)